أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية ـ مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة ـ جامعة باتنة1 ـ الجزائر
EISSN 2800-1435 ISSN 2773-2940 المجلد 04 العدد 01 (مارس، 2022) ص 65 إلى 86

تجليات "ألفاظ العنف" في شعر مصطفى الغماري الجزائري

Violent Expressions in the Poetry of The Algerian "Mustafa Al-Ghomari's poetry "

د. فريدة مقلاتي*

جامعة عباس لغرور خنشلة-الجزائر meguellati.farida@univ-khenchela.dz

تاريخ الإرسال	2021/12/20م	تاريخ القبول	2022/02/01م

ملخص

تتميز اللغة الشعرية بما تحمله من طاقات تعبيرية يعتمد عليها الشاعر للتأثير في المتلقي، وهذا ما يجعل الشاعر يختار ألفاظه بدقة لتكون قادرة على تحقيق الاستجابة النفسية، وقد تجلى ذلك في شعر "مصطفى الغماري" إذ لجأ إلى استخدام ألفاظ تحمل دلالة العنف، وستسعى هذه الدراسة إلى استجلاء ألفاظ العنف من بعض نصوصه الشعرية المتنوعة، وتحديد دلالتها، وبخاصة أن هذا التوظيف يدل على وعيه بحال أمته ووطنه، لذلك تمظهرت هذه الألفاظ في شعره. ويمكن القول إنه استخدمها- ألفاظ العنف- للتعبير عن ذاته المنكسرة ولتحقيق التجاوز، والبحث عما هو أفضل، وكذلك لكشف حقيقة الواقع وخباياه المرة.

الكلمات المفتاحية: شعر؛ ألفاظ؛ عنف؛ دلالة؛ مصطفى الغماري.

Abstract

Being more influential, the poetic language is characterized by its expressive energies. Hence, the poet chooses his words accurately to achieve the psychological response. This was manifested in the poetry of "Mustafa Al-Ghammari" for he used words connoting violence. The present study aims at elucidating violent expressions from some of his various poetic texts and determining their significance. Nonetheless, the employment of these words in his poetry indicates his awareness of the state of his nation and country. It can also be a significance of his broken self to achieve transcendence, find what's better, as well as reveal the truth of reality and its bitter secrets.

Keywords: poetry; words; violence; significance; Mustafa Al-Ghomari

* المؤلف المرسل

1.مقدمة

إن العنف هو إيذاء باليد أو اللسان، بالفعل أو بالكلمة، وهو التصادم مع الآخرين (خليل، 1984، صفحة 154)، وهو أيضا سلوك عمدي بقصد إيذاء الغير أو الإضرار بهم ويأخذ صورا أشكالا متعددة منها اللفظي والبدني. (العقاد، 2001، صفحة 99) وهذا يعني أن العنف سلوك مقصود يصدر من فرد اتجاه الآخر، وقد يكون ماديا أو لفظيا، ويكون ناتجا عن الغضب أو الدفاع عن النفس، أو الإحباط، والخوف، والقلق.

وعليه فالعنف سلوك ضد الرفق في التعامل مع الآخر، فالفرد قد يلجأ في بعض الأحيان إلى استعمال ألفاظ تحمل دلالة العنف، وبخاصة إذا اصطدم بالواقع وتحطمت آماله وأحلامه، فيستخدمها للتعبير عن الإحباط وذاته المنكسرة، ويحاول من خلالها التجاوز، والبحث عما هو أفضل، ولا يكون ذلك إلا من خلال تحليل الواقع وكشف خباياه، علما أن لكل فئة معجمها حسب تخصصها وتوجهها، وهذا يعني أن للشاعر معجمه الخاص الدال على خصوصية خطابه الشعري والشاعر بطبيعة الحال له معجمه اللغوي واللفظي الخاص به، والذي يميّزه عن غيره، و"**مصطفى الغماري**" شاعر جزائري معاصر استخدام ألفاظا تدل على العنف في معجمه الشعري، وذلك نتيجة للواقع السلبي الذي تعيشه بلاده.

رفض الشاعر الواقع الذي تعيشه الجزائر والأمة الإسلامية هذا الواقع المر الذي اتسم بالضعف والانحطاط، وسبب هذا الرفض هو توجهه العقائدي، وقناعاته الفكرية وتكوينه التربوي، وهذا الرفض قاده إلى توظيف ألفاظ تدل على العنف، وبذلك فهي تعكس ما بذاته من ألم وحسرة، ولكن الشاعر أحيانا لا يقصد التدمير والتخريب، بل العكس يقصد الحفاظ على دينه وطنه، وزرع

اليقظة بين أفراده، وقد بذل كل المجهودات في سبيل نهوضه وتطوره، فهذا يعكس مدى سعيه لإحداث التغيير، فشعره في مجمله يطرح قضايا الدين والأمة والوطن، فهو قد امتلك بصيرة وقراءات واعية لزمانه الذي قاده إلى تَمثُل الهوية الإسلامية، والدفاع عنها؛ لأن الذات مهما انفتحت على الآخر تفاعلا وتبادلا تبقى لها خصوصيتها التي تميزها (أدونيس، 2002، صفحة 34) وبهذا فقد كانت له مقاربة خاصة للعالم العربي والإسلامي، ونقصد بالعنف في هذه الدراسة اللوم والتوبيخ، والتقريع لتنبيه الغافلين، والظالمين، وكشف الجوانب السلبية، فهو لا يسعى من خلال شعره إلى إلحاق الأذى والضرر، بل إصلاح الأمة والمجتمع؛ لذلك سنسعى إلى استجلاء ألفاظ العنف من بعض نصوصه الشعرية المتنوعة التي تدل على وعيه بحال أمته ووطنه. فلماذا استخدمها؟ وهل العنف عنده طاقة نفسية تشكلت بفعل مثيرات خارجية وأخرى داخلية؟ وهل اتسمت هذه الطاقة بالإيجابية أم السلبية؟

علما أن هذا التحليل سيستعين بإجراءات الوصف والتحليل وبمنجزات آليات التأويل والقراءة.

2- الألفاظ الدالة على العنف:

يمثل "**مصطفى الغماري**" جيل الثمانينات في الجزائر، وقد حاول أن يكتب شعرا ذا منحى رافض آمل، فهو عمل على رفض أي قهرٍ، وحاول أن يتجاوز الواقع بحثا عن صيغ إيجابية تؤهله للحياة، فتجلت الأنا بصفة قوية لا تستسلم، بل رافضة باحثة عن الفعل الإيجابي الذي سيكون دون شك (بوقرورة، 2000، صفحة 140)، وبخاصة أن الشعر مرآة عاكسة للواقع، والشاعر ابن بيئته إذ لا يمكن أن ينفصل عنها، على الرغم من أن هناك من نظر

إلى الشعر على أساس «أنه نشاط خاص، أو نشاط لغوي لا علاقة له بهموم الناس بآمالهم وأحزانهم بمشاكلهم الصغيرة والكبيرة...يهبطون به إلى درجة الكماليات الجمالية التي تخدم طبقة معينة و ظرفا معينا ويمكن الاستغناء عنه» (المقالح، 1984، صفحة 83).

وهذا يعني أن وظيفة الشعر لابد أن تكون إمتاعيه ونفعية في الوقت نفسه وهذا ما تجلى في شعر "**مصطفى الغماري**"، فهو شاعر التزم بقضايا مجتمعه ووطنه، فجاءت القصيدة عنده نموذجا خاصا يحكمه منطق التجاوز والرفض الإيجابي الذي يقوده إلى واقع جديد مُؤَمَّل، ومحاولة البحث عن صيغ الإيجاب لضمان الحياة الكريمة، وهذا ما أدى به إلى محاولة كشف ما يعانيه مجتمعه ووطنه وذلك بتعرية الواقع وكشف عيوبه بغية إصلاحها وبخاصة أن الإنسان الجزائري بعد الاستقلال وجد نفسه محاطا من جديد بحضارة الغرب ثقافته وعاداته وتقاليده، ونسي الثورة وملايين الشهداء (بوقرورة،2000، صفحة 142) ولهذا الشاعر ملتزم بقضايا مجتمعه، فهو يرفض الاجترار والتقليد الأعمى؛ لأنه متصل الجذور والأصول بالحركة الإصلاحية التي أسسها سلفه الصالح والتي سعت إلى توجيه الفرد الجزائري والرفع من قيمته، فكرس الشاعر شعره للتنويه بالعقيدة بروح صوفية (ركيبي، دت، الصفحات 209-210).

وقد كانت للظروف التي مر بها "**مصطفى الغماري**" الأثر البارز في كتابة شعره، ولاسيما أنه رفض الواقع الذي آلت إليه الجزائر بعد الاستقلال، وعانى من مرارة الاغتراب والوحدة، وقد جسد هذا الرفض في بعض قصائده بألفاظ توحي بالعنف، فحاول في شعره أن يتجاوز الواقع، والبحث عن الممكن، وذلك بكتابة نصوص متضمنة رؤى مستقبلية ذات قدرة على فهم ما يتطلبه الحاضر.

إذًا لجأ الشاعر إلى استخدام ألفاظ العنف في بعض قصائده ليدل على تمرده ورفضه للواقع، وهذا جاء «بسبب انتمائه الديني الإسلامي وتكوينه

الثقافي؛ إذ يجد نفسه دائـم الشعور بالغـربة في مجتمع لا يجـد فيه ضالـته التي ينشدهـا وآمـاله الـتي يترقبهـا »(محمد، 2008، صفحة 186)، وبذلك جاءت ألفاظ بعض قصائده سهلة خالية من التعقيد معبرة عن أسلوب العنف في وصف حالة شعورية، حالة الرفض والتجاوز، فهو يبحث دائما عن اللائق بالإنسان الجزائري، والمسلم فشعره ملتزم بالمعنى الصالح، فميزته هي خدمة الحياة بالإصلاح والبناء وهذا يعني أن الأدب الملتزم لا يمكن أن يكون « محدودا قاصرا؛ لأننا حينما نشطب جانب الفساد والقبح من الحياة، فالذي يبقى بعده في الأدب هو واسع وكثير ومتنوع الجوانب ومختلف الصور والأشكال ولن يشعر الممارس له أي قصور فيه لقضاء حاجة الأدب، بل إن ما يجده يخدمه في كل ما يعينه في حياته» (الخطيب، 2007، صفحة 15) .

وبذلك "**مصطفى الغماري**" لا يلتزم بما لا يعتقد، بل التزامه وقبوله نابع من داخله، إنه جزء من شخصيته فلا يشعر إلا بما تمليه عليه عقيدته وقناعته من «رؤى ومشاعر، وبما تقدم له من مقاييس الحق والباطل، والخير والشر، والجمال والقبح، وبما تلون به نفسه من المشاعر والأحاسيس» (قصاب، 2016، الصفحات 31-32) وكل ما يصدر عنه يصدر بشكل واع مقصود، فألفاظ العنف التي تمظهرت في بعض شعره أراد من خلالها انتقاد أوضاع المجتمع الجزائري، والفرد المسلم بصفة عامة، وتعديل أفكاره وسلوكياته؛ لأنه هو الأساس الفاعل في سلم الحضارة.

ولغته ذاتية إبداعية تعكس إحساسه، إنها تعبر عن العالم الذي يعيش فيه وعن حاله ورؤيته، وبذلك فقد استخدم الملفوظات الخطابية المعبرة عن حالته نتيجة إحساسه بالظلم وبالغربة في وطنه، ومن تلك الألفاظ قوله: (الغماري، 1985، صفحة 69)

ليسَ لي إلا الكلامُ الحُزْنُ واللَّحْنُ الجَريحْ
وَمَـــــآقٍ تَتَلـــظَّى بِرُؤَى قلـبٍ ذَبيـحْ
فأنا لا أملِكُ السَّيفَ ولا التـّاجَ المهيب
إنما في القلبِ جَمْرٌيَسْفَحُ اللّحنَ الخصيب

وظف الشاعر عدة ملفوظات تحمل في طياتها دلالة العنف وهي: (الجريح، تتلظى، السيف، ذبيح، جمر)، فهي توحي بالعنف وتعبر بشكل عميق عن مدى عذابه ومعاناته وإحساسه بالظلم، والوقوف عند لفظة (جمر) في البيت الثاني يؤكد رفض الشاعر لما يتعرض له، فرد بدوره بعنف، فهذه اللفظة توحي بمدى قوة شعره، فهو نار متقدة، وهذا يوحي بقدرته على التأثير والفضح. وبخاصة أن الشاعر عُرف بتوجهه الإسلامي، وإيمانه العميق بالدين الحنيف لذلك نجده « يقف موقف العداء الصريح ضد أولئك الذين يراهم أعداء للإسلام من مذاهب إلحادية وإيديولوجيات مادية»(النجوم، 1991، صفحة 167) ، ويتجلى هذا في استخدامه لفظة (بركان) في قوله:

إذا عَقيدَتُنا دِيسَتْ كرامتُها
نَسْتَحِيلُ على الطاغين بُرْكانًا

يتمظهر العنف في النص عبر استدعاء معانيه متجلية في ألفاظ (ديست ،الطاغين، البركان) فكلها تجسّد العنف، وبخاصة لفظة (البركان) التي جاء بها لتحقيق فكرة الثورة والتحدي، التي هي فكرة مواجهة الآخر بكل قوة وحزم للحفاظ على الهوية الإسلامية، بالتالي فهو صاحب رسالة ورسالته هي خدمة الإسلام كرسالة إنسانية يجب أن تتعمق في الحياة بكل أبعادها.(النجوم، 1991، صفحة 170) كما استخدم ألفاظ العنف ليصور من خلالها مدى حقارة، وحقد أعدائه، نحو قوله: (الغماري، 1983، صفحة 27)

قَتَلُوهَا ألف مره

صَلَبُوهَا ألف مره

أَحْرَقُوهَا ألف مره

زَرَعُوا الشوك على الأعتاب

مدُّوا أَلْفَ صَخْرَه.

فهذه الألفاظ (قتلوها، صلبوها، أحرقوها، الشوك، صخره) تلتحم وتتفاعل من أجل تجسيد طبيعة العنف الذي يمارس ضد العقيدة الإسلامية، لذا استخدم صيغة (فعل) ليؤكد على التحويل الذي أحدثه الأعداء، ليبين في قصيدة " شهادة" الضياع الذي تعيشه الأمة الإسلامية لابتعادها عن تطبيق دين "محمد"ﷺ، وبخاصة أن التمكين والسيادة حسب تصوره لا تكون إلا لمن اتبع دين محمد صلى الله وعليه وسلم، بقوله:(الغماري، 2001، صفحة 70)

وبأحمد العربي كنـــــا أمةً وبه يُقَاتَلُ من يخون الدار

هيهات أن تهبَ الربيـــعُ مواسم مطرت سماء من دم ودمارا

فاخشع إلى أعتاب أحمد والتمس منه الهدى واستلهم الآثار

وكن ابنه في الخالـــــدين تكن به نصرا أظـــــل زمانه فأنار

يعكس نص الغماري الواقع الذي تعيشه الأمة؛ إذ اختلت فيه موازين القيم وانقلبت فيه المفاهيم فتسرب ظلام حالك وغطى الأجواء (يخون= انعدام الثقة، دم= الموت، دمار= فقدان الأمان) فهذه الألفاظ عنيفة على نفسية المتلقي،إلا أنها تعكس الألم الذي يعيشه الشاعر نتيجة تخلي أمته عن دين "محمد"ﷺ وبخاصة أنه يمثل عنده «شريعة توجه الإنسان إلى جميع نواحي الخير والحياة» (شلتوت، 1980، صفحة 11)، لذلك استلهم الشاعر من كنز الشخصيات الدينية محمدا ليؤكد أن السيادة والريادة لا يستحقها إلا من اتبع دينه، بل راح

في بعض قصائده يعنف من ترك الإسلام واعتنق دينا آخر غيره بقوله: (الغماري، 1980، الصفحات 119-120) .

اللاهثون وراء كل خرافة
عصرية.. يوحي بها السفهاء
القائلون الفصل..يمطر زيفه
للساخرين..فيورق استهزاء
صم..ولو أسمعتهم سخر الدجى
منهم.. وكم أغرتهم ظلماء
شاب الزمان.. وشب في أعماقهم
شبق كأحلام الدجى، وبغاء
حمر وقد برئ(المراكش) منهم
سمر.. وقد رفضتهم الصحراء
يزجون بالكلم الصفيق كتائبا
وهم على ريح النضال هباء
تسعون ألفا..إذ يعد عديدهم
لكنهم يوم اللقاء غثاء..

وظف الشاعر ألفاظا توحي بالتعنيف والسخرية (اللاهثون، السفهاء، صم بغاء، غثاء، هباء، الصفيق، رفضتهم) وذلك لدلالة على عقم هذه الديانات التي اعتنقوها، وهذا العنف جاء كلوم وتقريع لأولئك الذين تنكروا للإسلام. وقد استعان بالصور البلاغية (الكناية، الاستعارة) للتعبير عن هذا التوجه السلبي. وربما هذا الاعتزاز بالانتماء الإسلامي دفعه إلى الحنين إلى زمن الفتوحات زمن الجهاد والتضحيات في سبيل إعلاء كلمة الحق ونشر الدين الحنيف في كل بقاع

العالم، وتجلى هذا في قصيدة "زمن الطاغوت ولى" إذ استهلها بقوله: (الغماري، 1983، صفحة 87)

زَمَنُ الطاغوتِ وَلّى فاتنحرْيَا هبل

إننا بالحق ِأولىَ بالضحى نكتحل

وجه الشاعر كلامه إلى المرتدين عن الدين الإسلامي ووظف في سبيل ذلك ألفاظا تدل على العنف ورفض أفعالهم (الطغاة، انتحر، هبل) كلها توحي بالتعنيف المعنوي الذي يؤثر على نفسية المتلقي كما يقابل بين الإسلام وخصومه في قوله:

وما أنا إلا النار تشوي قلوبهم وإلا الضحى يرمي بأشلاء غيهب

رسم الشاعر صورة لعنفوان غضبه وثورته على الخصوم ورفضه لأفعالهم، واستغل في ذلك ألفاظا توحي بالعنف والقوة منها (النار، تشوي، أشلاء، رمى، غيهب) كما استخدم لفظة (الضحى) وهو الوقت الذي ترتفع فيه الشمس وترسل أشعتها، والغيهب التي تعني الظلمة الشديدة بشكل متقابل بحيث يزيل الضوء ظلمة الليل (الطاهر، 1983، صفحة 54)، وقد وظف هذا التقابل للإشارة إلى الإسلام وخصومه. ليعكس بذلك قوة الإسلام وعلوه، وغيرها من الشواهد الشعرية التي تمظهرت فيها ألفاظ العنف لكشف الغائب والمستور للمتلقي وللدفاع عن الشريعة الإسلامية السمحة.

واستخدم الشاعر أيضا بعض الألفاظ التي تدل على العنف رغبة منه في كشف معاناة وطنه، منها المعاناة التي تسبب فيها أبناؤه، إذ يقول الشاعر في قصيدته " لن ينام الحق" :(الغماري، 1983، ص 23)

لن يَنَام الحق في جُرحِ بلادي..

لن ينام ..

ثم يتوزع أكثر، ويعمل على كشف ما أصاب الوطن من أبنائه: (الغماري، 1983، الصفحات 26-27)

ضَاجعوا الرّيح..
وغنوا للطَّواغيتِ الصِّغار
و انتَخوا باسم الفُتُوحِ السُّمرِ للفتحِ الشِّعَارِ
وَلوَلوا في شهوةِ اللَّيل..
على " خَضْراءَ" شَدُّوا..
ولهمْ..كمْ يخجل الماضي..

يوجه الشاعر خطابه إلى الخائنين المتقاعسين عن خدمة وطنهم بما يصلح، ووصفهم بأقبح الأفعال، وقد استعمل ألفاظا توحي بالعنف بذلك منها: (ضاجعوا، الطواغيت، شهوة الليل، ولولوا، انتخوا...)، كما تجلت صورة الفرد المسلم أمام ناظر الشاعر، فرآها قاتمة فاقدة للحياة، إذ يقول:(الغماري،1983، صفحة 26)

غرقتنا في منافيها السنين
فانتهنا بعض أمشاج من الطين الحزين
طينة ميتة الأحشاء حرى
من ثلوج الأمس
من جمر المسافات
ومن نزف الحنين

رسم الشاعر بالكلمات صورة للفرد المسلم الذي أصبح طينة ميتة لا يبذل أي مجهود لتحقيق استقلاله في كل المجالات، وقد استخدم ملفوظات عنيفة ضد هذا الفرد المتقاعس (غرقتنا، حزين، ميتة، جمر، نزف...). كما وجه أيضا خطابا عنيفا إلى كل مثقف تخلى عن حريته وأداء واجبه وأصبح " بوقا أمينا للسلطة،

وبذلك غابت صورة المثقف وحضر كبضاعة موردة اعتنقت فلسفة المنجل والمطرقة، ومارست بفنها كل أنواع الضياع (بوقرورة، صفحة 144) وبخاصة بعد الاستقلال، إذ يقول: (الغماري، 1985، الصفحات 8-9)

معلبون بضاعات موردة مخدرون بإغـــراء المدى الأثير

يخاصرون الليالي وهي زانية تمرست بفنون العهر من صغر

يشير الشاعر إلى غياب المثقف وبخاصة الشاعر، لهذا وجه إليه خطابا تضمن ألفاظا عنيفة منها: (معلبون، مخدرون، زانية، العهر...) وذلك بغية لوم وتقريع هذه الفئة، ولكن الغماري في المقابل يبين مصير كل مثقف سَوِي يسعى إلى المساهمة في بناء وطنه بقوله: (الغماري، 1980، الصفحات 16-17)

إذا أورقت كَبدٌ بالضياء

يقال تطرف

وإن أشرقت مقل بالضياء

يقال تطرف

وإن جلجلت شفة بالنداء

يقال تطرف

لجأ الشاعر في هذا الخطاب إلى ألفاظ عنيفة هذه المرة ليبين العنف الذي يتعرض له الفرد الفاعل السوي في وطنه، ولكنه في قصيدة "لبنان الرافض" حاول توجيه وإرشاد الفرد إلى طريق الحق مستعملا ألفاظا عنيفة ضد الحكومات المتجبرة الظالمة، مستخدما حرف النفي (لا) ليؤكد على عدم الخوف والتردد بقوله:(الغماري1983، الصفحة 18)

واليوم..لا " بـــدر" في عيني ماثلة

لا "فاتحون" إذا غاب الورى حضروا

تدمي الحضارات يا أوطان فاطرحي
زيف القنـــاع..ولا شكوى ولا عذر
تلك الحكـــومات أصنام محنطة
لا ترهبيها...فأقـــصى أمرها حجر!
دكي قـــلاع الليالي، وأطلعي قدرا !
ولا عليك إذا ماتوا أو انتحروا

أشار الشاعر في هذا الخطاب الشعري إلى فقدان حرية التعبير في البلدان العربية لسيطرة الحكومات الظالمة فاستخدم الشاعر ألفاظا عنيفة لوصفها وكشف حقيقتها ونواياها، وكذلك لتوجيه الفرد المثقف ليواصل نضاله منها (تدمي، زيف، شكوى، أصنام، ترهبيها، دُكي، ماتوا، انتحروا) كلها تحمل دلالة العنف الموجّه نحو السلطة الظالمة المستبدة ثم يبين الغماري دوره، وهدف رسالته الإبداعية الشعرية في قصيدة بعنوان" ثورة الإيمان " منها هذه الأبيات، إذ (الغماري، 1982، صفحة 31) يقول:

أُحارب في دِيني وَفِكري ومَذهَبي
وأرمِي بِزورِ القولِ في كُلِ مَشْعَبِ
ومـــا أنا إلا غُصـــــةٌ في حُلُوقهِمْ
وَمَا حَشْرجةُ الأقدار في صَدْرِ مذنبِ
وَمَا أَنَا إِلا النَّارُ تَشْوِي قُلُوبَهُمْ
وَإِلاَّ الضُحَى يَرْمِي بِأَشْلاءِ غَيْهَبِ
يُعانِقُنِي عَزْمُ الأُلَى صَنَعـُوا العُلَى
فَأَهْتِفُ بالإسلامِ.. أَقْوم مَذهَبِ

يوجه الشاعر خطابه إلى أعدائه بقوله: (وما أنا إلا غصة في حلوقهم وما أنا إلا النار تشوي قلوبهم، **وَإِلاَّ الضُحَى يَرْمِي بِأَشْلاءِ غَيْهَبِ** ....) فالصورة لم تتحقق

باللفظ فقط، بل رسمت ببراعة صورة نفسية لخصوم الشاعر، فعكست بذلك خوفهم وترقبهم، وما استخدامه لهذه الألفاظ العنيفة الواردة في المقطع إلا تحديا لهم، وأسلوب الشاعر تميز حسب رأي "يحياوي الطاهر" « بانفعال حاد، وهذا ناتج أساساً عن مزاج الشاعر الثائر المتوتر القوي .....إزاء صراعه مع خصومه كما يؤكد هذا من جهة ثانية عمق معايشة الشاعر لقضاياه النفسية والفكرية» (الطاهر، 1983، صفحة 104)، ولكن الصوت الحماسي لدى الشاعر يختفي ويبرز بدله همس وتساؤل، عن طبيعة الوطن الذي بقي، وطن فَقَدَ كل القيم، ولم يبق فيه إلا الحزن والدمار والفشل، إذ يقول في قصيدة "بين يدي إقبال": (الغماري، 1982، صفحة 112)

مَاذَا أُحَدِّثُ ...يَا إِقْبَالُ عَنْ وَطنٍ
تَشَرْشَرَتْ فيه غَاراتُ المُغِيرِينَا
وعن دُرُوبٍ...تَعَرَّتْ وَجْهَ بَاغِيةٍ
للنَّاظِرِينَ ...وَمَاخورًا لِزَ انِينَا
يَفِئُ كُلُّ لَقيط خَلْفَ مَنْزِلنَا
وَيَنْهَشُ العَارُ من أَطْهَارِ مَاضِينَا
مَاذا أُحَدِّثُ يا إقبالُ عن وطني
خناجيرُ الليلِ في أَعْمَاقِ وَادِينَا

....

أعجب الشاعر بشخصية "محمد إقبال" الشاعر البنغالي الهندي الإسلامي، وتأثر به إلى درجة النقل وحدّ التتلمذ في الأفكار والمعتقد (النجوم، 1991، صفحة 170)، لذا ارتكز على هذه الشخصية ليخرج ما في نفسه، وقد اعتمد هذا النص على فعل الحركة الذي تشكله أفعال (أحدث، تشرشرت، ينهش، تعرت،

يفئ،)، ويضعنا الشاعر أمام حالته النفسية المتأزمة التي قادته إلى الذهول والتساؤل عن هذا المصير الذي آل إليه وطنه، وقد استخدم في سبيل تقديم هذه الصورة القاتمة الحزينة عن واقع وطنه ألفاظا عنيفة وقاسية ليدل على الألم الذي يعتصر قلبه منها (غارات، تعرت، باغية، الزانينا، ينهش، العار، لقيط، خناجير...). وكلها توحي بالعنف اللفظي نتيجة الشعور بالظلم والتيه والضياع، فوطنه تحول إلى فضاء تغطيه الحيرة وخيبة الأمل. وهذا الوضع قاده إلى البحث عن الأمل المفقود، فالشاعر كان مسكونا بوطن ضاع وغادر الواقع، ولكن بقي حيا في خياله وذكرياته.

إذ يقول الغماري: (الغماري، 1980، الصفحات 195-196)

أحببتُ يا وطني فيكَ جهادَ الجدودْ

في كلِّ دربٍ دمٌ في كل شبرٍ شهيد

يموتُ كلّ هوى إلا هواكَ الجديدْ

أراه ملءَ الرّبا أراه ملءَ الحدودْ

أحببتُ يا موطني تكبير أحرار

والجرحُ لما ارتوى بالنوروالنار

يَفُك عنك الأسى يا غربة الدار

حتى رأيتُ العدى أشلاءَ إعصارٍ

يعود الشاعر من خلال هذا المقطع إلى ذكريات ماضية علّها تعود، فهو يبحث عن الأمل المفقود، ويسعى لتجاوز هذا الواقع المرير وإيجاد وطن بديل مغاير لوطنه الذي كان فيما مضى قدوة لكل ثورة على الظلم والطغيان، والاستبداد، والألفاظ التي استخدمها توحي بالعنف والثورة (دم، يموت، الجرح، النار الأسى، العدى، أشلاء، شهيد، الجهاد) فالعنف الذي أشار إليه الشاعر في هذا المقطع عنف مشروع ومستحب من أجل استرجاع الوطن والسيادة في ظل عجز القمم

التي يعقدها العرب بين الفينة والأخرى لبحث بعض القضايا المتعلقة بالأمة، ولكن بُعدا لا فائدة منها إذ يقول الشاعر: (الغماري، 1983، ص11)

قمـم تشيخ وأمـــة تنهـــار واللاهثون إلهـــم عشتار

قمم تشيخ، أجل ويصلب حلمها فحضورها الأنساب والأوتار

الشاعر لفظة (تشيخ) لدلالة على ضعف وعجز هذه القمم، فهي خاوية من أية روح وطاقة، وهذا ما جعلها تنهار وتفشل في احتواء قضايا الأمة وحلها، والألفاظ التي استخدمها (تشيخ، تنهار، اللاهثون، يصلب، عشتار) تتضمن دلالة العنف لاحتوائها على اللوم والسخرية، وما يخالف الإسلام عنده، فهو باطل (اللاهثون إلههم عشتار) فالأوطان التي كان يطمح إليها الفرد العربي قد ضاعت، وضاع معها الأمل في الإصلاح، وبخاصة بعد أن جاءت الحداثة والمعاصرة في شكل غريب، ومحتوى بعيد عن لغتنا، وأصالتنا، وديننا، وفكرنا ، إذ يقول الغماري: (الغماري، 1986، الصفحات 95-96)

مَسَافَاتُ أَشْوَ اقِنَا لِلأَمَـــانِي وأهـــــداب أوطانـــــنا للزّنَاة

لمن دَجَّنُوا الحرفَ باسمِ الجَديد وبَائِعوكَ يا حَرفُ بالفلسفاتْ

أصالتنا أصبحت مُومْيـــــاءْ وأصـــــــبحَ تاريخنَا خَربشاتْ

وَكُلٌّ يُجَـــــدِّفُ بِاسْمِ التُّرَاثِ وَكَـمْ عَظُمَتْ بِاسْمِهِ العَائِدَاتْ

لَقَدْ كَثُـرَ المُصْلِـــــحُونَ فَقَلُّوا وَيَنْدُرُعِنْـــــدَ البَلاَءِ الثِّقَـــاتْ

وَمَا أَرْخَصَ الكَلِـــــمَ المُسْتَبَاحْ إِذَا طنَّ مِـــــنْ مُسْتَبِيحِ الرُّفَاتْ

وَكَمْ ذَا يُلاَكُ الحَـدِيثُ الفُتَاتْ وَتُمْعِنُ فِي وَهْمِهَا الجَعْجَعَاتْ

فَهَذَا المُـــؤَرِّخُ لِلْمُصْلِحِيـــنْ فَمَنْ ذَا يُؤَرِّخُ لِلْمُصْلِحَاتْ

لقد هزلَ الفكرحتى النـــخاع وقد مرضَ الفِكرُحتى الموات

يتنفس هذا النص في أجواء حزينة، فحالة اليأس قد تملكت الشاعر، وتأتي ألفاظ (الزناة، دجنوا، بائعوك، مومياء، هزل، مرض، الموات) لتزيد من صورة اليأس قتامة ودلالة، وكلها تتضمن شيئا من العنف المعنوي الموجه نحو الذات المنكسرة، وهذا بإمكانه أن يسبب انهيار الأحلام، والآمال، والأفكار، لذلك راح يرفض هذا الواقع المرير في قوله: (الغماري، 1989، الصفحات 26-28-29)

في زمن التهريب والتغريب

في الزمن الغريبْ

يثوربالغناء العندليبْ

يَرْفُضُ أن يَسْتَوردِ الغناء العندليب!

يرفض أنْ تُمَارسَ العَهَارةَ

باسم الحضارة

يرفض أنْ تُمارسَ الطهارة

في محفل التتويج والترويجِ للأميروالإمارة!

يا زمنَ الحَقَارة!

يرتكز هذا المقطع على فعل الحركة الذي تشكله الأفعال (يثور، يرفض، تمارس، يستورد) إذ عمد الشاعر إلى رسم صورة قاتمة تعكس حقيقة الزمن الذي يعيش فيه، ومأساة الوطن ومعاناته الحقيقية إذ بيع وانغمس العرب في الشهوات والملذات، ولكن ذات الشاعر ترفض هذا الوضع، فالفعل (يرفض) بتكراره يكشف عن فكرة المواجهة والتحدي والرفض، فهو ملتزم بقضايا أمته والدفاع عنها، لذلك حملت ألفاظه في طياتها دلالة العنف (يرفض، العهارة، الحقارة، التهريب) فهي تؤسس لفعل العنف، بل غضبه دفعه للتبرؤ من المتقاعسين عن نصرة القدس إذ يقول في قصيدة "إلى الغرباء" : (الغماري، 1986، الصفحات 120-121)

أسماء من هذي وجلجل هاتف

إني برئت.. فإنهم لقطا

إني برئت من الذين تقاعسوا

والطهر تَصْلبُه يدٌ شَوْهَاء

والقدس والجولان تجهش الأسى

تعنوله..والقبة الخضراء

نجد الشاعر في هذا النص قد وظف لفظة (برئت) ليباعد بينه وبين الخائنين، وليدل على حسرته لما أصاب القدس، وألفاظه مارست نوعا من العنف على مسامع المتلقي، وبخاصة على من تخلى عن نصرة القدس (هذي، لقطاء تقاعسوا، تصلبه، شوهاء، تجهش، الأسى، تعنو "الخضوع") فهذه الملفوظات تحقق فكرة العنف، كما أنها تلتحم وتتفاعل من أجل تجسيد موقف الشاعر من بؤس الواقع الذي يعيشه القدس. وتتمظهر أيضا ألفاظ العنف في قصيدة (لبنان الرافض) التي يدعو فيها العرب إلى ضرورة النهوض والمقاومة، وضرورة استرجاع الحقوق؛ إذ يقول: (الغماري، 1980، صفحة 13)

تفجَّري يا ذُرى البطحاء ملحمة

على الزناة.. وإن حجُّوا أو اعتمروا

تفجَّري يا رمال القهر.. رافضة

فليس يورقُ إلاَّ بالدم الظفرُ

تفجَّري –مقل التاريخ شاهدة

وفي حناياك يفنى حسرة "عمر"

يكشف هذا النص عن عنف لغوي ونفسي وذلك من خلال تكرار لفظة (تفجري) فهي تدل على العنف الضروري لمواجهة الأعداء (الزناة)، وهذا اللفظ أيضا عنيف من الناحية الأخلاقية، بالإضافة إلى ألفاظ أخرى تحمل دلالة العنف (القهر، رافضة، الدم، الحسرة)، وهذا يعكس توقه إلى التحدي والسخط على الأعداء، وإن كان فيهم من حج واعتمر؛ لأن حقيقته غير ذلك، وقد تجلى أيضا هذا التحدي في قوله: (الغماري، 1989، صفحة 21)

تكبيرة تنمو على شِفَاهنَا بحجم هذا العصر

فَلْتَنْتَحِرِيا كُفْرُ..

يا أمشاج!

ولتنكسريا صارم الحَجَّاجْ

ولتَسْكري من رَهْجِ الأحقادِ يا أمواجْ!

تتمظهر روح التحدي من خلال استعماله لصيغ الأمر (المضارع المقترن بلام الأمر) وذلك لدلالة على زمن الحاضر والمستقبل، منها: فلتنتحر، لتنكسر، لتسكري ...وهي تعكس لنا الحالة النفسية للشاعر هي نفسية جياشة بالانفعالات ميالة إلى العنف والتحدي للحفاظ على الوطن والشريعة فالغد المشرق قادم ومصدره الإسلام (تكبيرة)، بل راح يبين أن صمت الشعوب لا يدوم بقوله: (الغماري، 1985، صفحة 35)

صَمْتُ الشعوب وإنْ تَطَاوَلَ سوف يلتهبُ التهابا

نارا على خُضْرِ الدُّروبِ تَدُكُّ منْ شَادوا الخرَابا!

يفجر الشاعر موقفه النضالي ويتوعد الظالمين بالمواجهة العنيفة التي تجلت في ألفاظ (يلتهب التهابا، نارا، تدك، الخرابا...) فكلها تعكس روح التحدي والمواجهة عند الشعوب المظلومة مهما طال صمتها.

3. خاتمة:

- عاش الشاعر في زمن أصيب فيه الجيل بأكمله بخيبة أمل، فانعكس ذلك سلبا على فكره ونفسيته فراح يبحث عن الأمل من خلال شعره، محاولا بذلك تجاوز الواقع لعله يجد وطنا جديدا بديلا مغايرا للوطن الذي يعيش فيه، ونتيجة لهذا الواقع المر تمظهرت في شعره ألفاظ شديدة اللهجة ضد أعدائه.

- إن لغة الغماري ذاتية إبداعية تعكس إحساسه، إنها تعبر عن العالم الذي يعيش فيه وعن حاله ورؤيته، ومعاناته.

- استخدام الملفوظات الخطابية المعبرة عن حالته النفسية، وقد اتسمت بعض ألفاظه بالعنف كتعبير عن الرفض، وتجاوز الواقع، والبحث عما هو أفضل.

-التزام الشاعر بقضايا وطنه وأمته ودينه، وهذا الالتزام جزء من شخصيته فلا يقر إلا بما تمليه عليه عقيدته، وقناعاته، لذا فقد عكس من خلال شعره الظلم والاضطهاد، وهاجم أيضا الطغاة بغية كشف حقيقتهم وتنبيه الأمة إلى نواياهم،

وعلى الرغم من سلبية الواقع الذي يعيش فيه إلا أنه متفائل باستيقاظ الشعوب العربية، والإسلامية.

4. قائمة المراجع:

1. أدونيس. (2002). موسيقى الحوت الأزرق: الهوية- الكتابة- العنف. بيروت: دار الآداب .
2. خليل أحمد خليل. (1984). المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع. بيروت: دار الحداثة .
3. سعيدي محمد. (2008). الرفض في الشعر العربي المعاصر. الأثر مجلة الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح ورقلة . (العدد السابع) (129-140).
4. عبد العزيز المقالح. (1984). الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن. بيروت- لبنان: دار العودة.
5. عبد الله ركيبي. (دت). الشعر في زمن الحرية: دراسات أدبية نقدية. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
6. عصام عبد اللطيف العقاد. (2001). سيكولوجية العدوانية وترويضها. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
7. علي أحمد الخطيب. (2007). قطوف في ثمار الأدب الإسلامي. الدار المصرية اللبنانية.
8. عمر بوقرورة. (2000)، دراسات في الأدب الجزائري الحديث.
9. محمد شلتوت. (1980). الإسلام عقيدة وشريعة. القاهرة: دار الشروق.

10. محمد أبو النجوم. (1991)، هل يغدو مصطفى محمد الغماري شاعر الإسلام في القرن العشرين، مجلة الثقافة الإسلامية. بسوريا، دمشق، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، (العدد 38). (165-181)

11. مصطفى الغماري. (1985). ديوان: نقش على ذاكرة الزمن. الجزائر: ش و ن ت.

12. مصطفى الغماري. (1985). ديوان بوح في مواسم الأسرار. الجزائر: مطبعة لافيوميك.

13. مصطفى الغماري. (1982). ديوان أسرار الغربة . الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

14. مصطفى الغماري. (1980). ديوان أغنيات الورد والنار. الجزائر: مطبعة الشركة الوطنية.

15. مصطفى الغماري. (1983). ديوان أغنيات الورد والنار. الجزائر: مطبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .

16. مصطفى الغماري. (1986). ديوان حديث الشمس والذاكرة. الجزائر: م و ك.

17. مصطفى الغماري. (1983). ديوان عرس في مأتم الحجاج. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

18. مصطفى الغماري. (1983). ديوان قراءة في آية السيف . الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

19. مصطفى الغماري. (1980). قراءة في زمن الجهاد. قسنطينة: مطبعة البعث.

20. مصطفى الغماري. (2001). قصائد متنقضة. الجزائر: منشورات اتحاد الكتاب الجزائر.

21. مصطفى الغماري. (1989). مقاطع من ديوان الرفض. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

22. وليد قصاب. (2016). في الأدب الإسلامي. بيروت- دمشق: دار الفكر- دار الفكر المعاصر.

23. يحياوي الطاهر. (1983). البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.